العرب
السبت 2021/09/25
السنة 44 العدد 12190

اتفاقية أوكوس تخدم أهداف إيران النووية وتُهدد السلام في الشرق الأوسط

دانيش كامات
محلل سياسي يركز على الشرق الأوسط وجنوب آسيا

ستُلقي اتفاقية أوكوس المعلن عنها بين أستراليا وبريطانيا والولايات المتحدة، بظلالها على الشرق الأوسط وجنوب آسيا، على الرغم من تركيزها الظاهري على المحيطين الهندي والهادئ، وتولدت الاتفاقية بفضل المنافسة القطبية بين الولايات المتحدة والصين، وستوظف إيران تلك الاتفاقية لتعزيز أهدافها النووية. لأنه إذا كان بإمكان أستراليا امتلاك المزيد من الطاقة النووية، فيمكن لإيران امتلاك نفس الشيء، وعليه، من المقرر انطلاق سباق تسلح نووي جديد.

وتنص اتفاقية أوكوس على توفير ما لا يقل عن ثماني غواصات تعمل بالطاقة النووية لأستراليا والتي تعتمد على التكنولوجيا البريطانية والأميركية، وتستغل تلك الاتفاقية ثغرة نادرا ما تُستخدم في معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية، حيث تسمح للدول غير الحائزة على الأسلحة النووية بتحويل المواد الانشطارية بعيدًا عن أعين مفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية متى تم استخدامها لأغراض "سلمية"، مثل الدفع بواسطة الغواصات. ومعظم الدول التي تمتلك أسلحة نووية اليوم طورت قدراتها تحت ذريعة "الأغراض السلمية"، مثل توليد الكهرباء والبحوث.

اتفاقية أوكوس تعطي طهران وسيلة دعائية مفيدة لتبرير زيادة تخصيب اليورانيوم، حيث سبق لوزير الخارجية الإيراني السابق جواد ظريف أن انتقد أميركا وبريطانيا بسبب الاستثناء الممنوح لأستراليا

وبالفعل شرعت إسرائيل التي يُعتقد امتلاكها أسلحة نووية، بإجراء "أبحاث" في مفاعلها النووي بالقرب من مدينة ديمونا.

وتبلغ الكمية النموذجية لليورانيوم عالي التخصيب اللازم لصنع سلاح نووي واحد مقدار 25 كيلوغراماً تقريباً، والكمية المحتمل تحويلها إلى أستراليا لغواصاتها سيكون ما بين 100 و200 ضعف ذلك الكم، ومن المذهل أن يخرج هذا الأمر عن نطاق مراقبة الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

وتعطي اتفاقية أوكوس طهران وسيلة دعائية مفيدة لتبرير زيادة تخصيب اليورانيوم، وكان وزير الخارجية الإيراني السابق جواد ظريف قد انتقد بالفعل أميركا وبريطانيا بسبب الاستثناء الممنوح لأستراليا، وهي مثل إيران من ضمن الدول الموقعة على معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية، وقد بدأ أعضاء البرلمان الإيراني أيضًا في التشكيك في مصداقية الوكالة الدولية للطاقة الذرية، التي تراقب (عندما تستطيع) التزام طهران باتفاقية ضمانات معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، وخطة العمل الشاملة المشتركة، والمعروفة أيضًا باسم الاتفاق النووي الإيراني. وقد تنسحب إيران ببساطة من معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية بسبب النظام المتشدد الحالي، كما فعلت كوريا الشمالية في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ومثل إسرائيل (التي لا تعتبر من الدول الموقعة على معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية)، يمكن لإيران البقاء غامضة بشأن مسألة ما إذا كانت لديها أسلحة نووية أم لا.

وإذا حفزت اتفاقية أوكوس التوسع النووي الإيراني، فماذا سيكون الرد الإسرائيلي؟ وفي حين أن إسرائيل، التي وافقت على مضض على خطة إدارة "بايدن" لتطبيق استراتيجية متعددة الجوانب لمنع طهران من تطوير سلاح نووي، فقد تركت خيار الضربات العسكرية على المنشآت النووية الإيرانية مفتوحًا. وأي هجوم إسرائيلي عسكري على المنشآت النووية الإيرانية سيكون له عواقب كارثية على المنطقة، حيث تقع بعض المنشآت النووية الإيرانية في الجنوب، بالقرب من مياه الخليج، وستؤثر الإشعاعات على كل دول المنطقة المجاورة لإيران، وفي المقابل، من المحتمل أن تخلق الميليشيات التي تعمل بالوكالة لإيران الفوضى والدمار في إسرائيل، والذي قد تعجز القبة الحديدية للدفاع الصاروخي الإسرائيلي عن ردعه.

وقد يستهدف وكلاء إيران المفاعلات النووية الإسرائيلية كردة فعل لأي هجوم على إيران، فقد سقط صاروخ أطلقته القوات السورية على غارة جوية إسرائيلية على بعد 30 كيلومترا من المفاعل النووي في ديمونا هذا الصيف، كما وجهت طهران إنذارا لحلفاء أميركا الخليجيين إذا صارت هدفا لهجمات إسرائيلية. وسيؤدي هذا إلى انهيار كل ما تبقى من الاتفاق النووي ويدمر أي فرصة ضئيلة لحدوث انفراج كبير، والذي ظهر عقب قمة الشرق الأوسط الأخيرة التي عقدت في بغداد وحضرتها جميع دول المنطقة تقريبًا. وقد بدا أن انسحاب أميركا من الشرق الأوسط للتركيز على آسيا من شأنه أن يجلب ما يشبه السلام إلى المنطقة، لكن مع اتفاقية أوكوس يبدو أن العكس هو الصحيح.

ويمكن لبكين عقد اتفاق مشابه لاتفاقية أوكوس مع باكستان في منطقة جنوب آسيا، ولديها بالفعل تعاون مكثف مع باكستان في المسائل النووية. وسيكون ذلك بمثابة رد من بكين لمواجهة الهند، التي حاولت واشنطن جاهدة، على مدى السنوات القليلة الماضية، إلحاقها بتحالف ضد الصين، وقد يؤثر ذلك على توازن القوة التقليدي بين باكستان والهند ويمكن أن يجبر نيودلهي على تغيير فلسفتها النووية.

وقد ألمح وزير الدفاع الهندي "راجناث سينغ" في العام الماضي، إلى أن الهند قد تُغير سياسة الضربة الأولى أو الاستخدام الأول للأسلحة النووية، وإذا حدث هذا، فقد يؤدي ذلك إلى سباق تسلح نووي متجدد في جنوب آسيا، حتى أنه قد يجبر بكين على تغيير سياسة عدم الاستخدام الأول الخاصة بها، والذي بدوره سيفتح الباب على مصراعيه لتغيير موازين القوى الاستراتيجي لجميع الدول النووية.

ولطالما حاولت الهند حماية نفسها من الولايات المتحدة والصين، حيث أرسلت قواتها إلى مناورات زاباد العسكرية التي أجرتها روسيا مؤخرًا في بيلاروسيا، وهي عضو كامل العضوية في منظمة شنغهاي للتعاون التي تقودها الصين، إلى جانب باكستان. ومع ذلك، إذا استجابت بكين لـ"اتفاقية أوكوس" بفعل مماثل من خلال دعم الجيش الباكستاني، فقد يجبر ذلك الهند على زيادة تعزيز تحالفها مع الولايات المتحدة.

وكما الانسحاب الأميركي من أفغانستان، تعد اتفاقية أوكوس جزءًا من تحركات السياسة الخارجية الصارمة والمفاجئة لإدارة "بايدن" حيث تحاول الولايات المتحدة لعب دور المنتصر الأخير في نهاية ما يُرجح أن تكون فترة طويلة من الاضطرابات الجيوسياسية، وعليه، على دول الشرق الأوسط وجنوب آسيا توقع هبوب أعاصير ورياح عاتية.

* سيندیکیشن بیرو

من يهتم بمأساة أطفال اليمن

من ما زال يهتم بفوضى «الربيع العربي»

العالم يدير ظهره للشرق الأوسط ويهتم بقضايا كورونا والمناخ وأفغانستان

في انتظار ترميم خراب الحرب

الفوضى التي خلفها ما يسمى بـ"الربيع العربي" والأزمات السياسية والأمنية والاقتصادية التي نتجت عنها ما عادت تثير اهتمام المجتمع الدولي المنشغل بقضايا كورونا والمناخ وأفغانستان.

بيروت - في زمن ليس ببعيد تصدرت الانتفاضات والحروب في العالم العربي جدول أعمال اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك. ومع وصول معظم هذه الصراعات إلى طريق مسدود، تحول تركيز العالم إلى تحديات عالمية أكثر صعوبة مثل جائحة لا تزال مستعرة وتغير المناخ، بالإضافة إلى الأزمات الجديدة في منطقة تيغراي المحاصرة في إثيوبيا وسيطرة طالبان على أفغانستان.

لكن الوضع في الشرق الأوسط تدهور بشكل كبير في عدد كبير من البلدان وخاصة خلال العامين الماضيين. ويتأرجح لبنان وسوريا والعراق وليبيا واليمن على شفا كارثة إنسانية، مع ارتفاع معدلات الفقر والانهيار الاقتصادي الذي يهدد بالزج بالمنطقة في اضطراب أعمق.

وقال جوليان بارنز – داسي، مدير برنامج الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية في تقرير لوكالة "أسوشيتد برس" إن "المنطقة مزدحمة بأزمات عالمية أخرى، ولكن هناك أيضا شعور باليأس الغربي بعد سنوات عديدة من الأزمة".

وبعد أكثر من عقد من إراقة الدماء والاضطرابات التي أشعلتها انتفاضات "الربيع العربي" وهجوم تنظيم الدولة الإسلامية، استقرت معظم الدول العربية في المنطقة في مأزق عسكري أو صراع مجمّد مصحوبا بتدهور الاقتصادات وزيادة معدلات الفقر والقمع الأشد.

وتسببت الحرب المستمرة منذ ستة أعوام في اليمن في حدوث أسوإ أزمة إنسانية في العالم، مما دفع بالبلاد إلى شفا المجاعة. وحذر رئيس منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة يوم الأربعاء من أن 16 مليون شخص هناك "يسيرون نحو المجاعة". وتكافح ليبيا التي مزقتها الميليشيات المتنافسة التي تدعمها حكومات أجنبية لسنوات، من أجل تحقيق الوحدة. ويخاطر المزيد من اليائسين بحياتهم وهم يحاولون عبور البحر المتوسط إلى أوروبا من شواطئها.

ويشهد العراق وسوريا ولبنان، التي كانت ذات يوم دولا تشكل القلب الثقافي للشرق الأوسط، تفككا اقتصاديا كبيرا مدفوعا بعوامل أخرى من بينها الفساد والقادة السياسيون الذين يركزون على الحفاظ على مصالحهم الخاصة بدلا من تلبية احتياجات شعوبهم الأساسية.

وكان التراجع الأكثر إثارة للصدمة في العامين الماضيين هو لبنان، الدولة الصغيرة متعددة الأديان في شرق البحر المتوسط التي سجّلت أعلى نسبة من اللاجئين للفرد في العالم. وتشهد البلاد حالة من السقوط الحر منذ أن بدأت الأزمة المالية في أواخر سنة 2019، مما أدى إلى إغراق نحو ثلاثة أرباع السكان في براثن الفقر في الأشهر الماضية وتسبب في هجرة العقول بشكل لم تشهده البلاد منذ أيام الحرب الأهلية 1975 – 1990. وقد تسارعت في ذلك مع الانفجار الهائل الذي وقع في مرفأ بيروت في أغسطس 2020 وأسفر عن مقتل أكثر من 200 شخص وتدمير أجزاء من المدينة. ويكافح اللبنانيون الآن للحصول على الكهرباء والوقود والدواء، وبالكاد تستطيع معظم الأسر جمع ما يكفي لتناول وجبتها التالية.

العديد من اجتماعات الجمعية العامة في السنوات الماضية اتسمت بموجة من النشاط الدبلوماسي لإيجاد حل للأزمات في الشرق الأوسط

وقالت جويس كرم الصحافية اللبنانية والأستاذة المساعدة في العلوم السياسية في جامعة جورج واشنطن "إذا كنت مدنيا لبنانيا، فمن الممكن أن تواجه احتمالا أكبر للموت بسبب نقص الأدوية في 2021 مقارنة برصاصة في السبعينات والثمانينات (...) ينخر الدمار الاقتصادي ركائز الدولة بطريقة تصل إلى نقطة لا رجوع فيها".

وقد يؤدي الانهيار الكامل في لبنان إلى إرسال موجة جديدة من اللاجئين إلى أوروبا، في حين قد يؤدي اليأس في العراق، الذي يعاني من الفقر وضعف البنية التحتية وقضية النزوح التي لم يتم حلها، إلى تجدد العنف.

كما أن حرب غزة التي استمرت 11 يوما الربيع الماضي لم تشهد سوى القليل من الزخم حتى الآن هذا العام، وهي أحدث جولة من القتال بين إسرائيل وحركة حماس المسلحة التي تحكم القطاع. ودُمر أكثر من 4 آلاف منزل في غزة أو شهد أضرارا بالغة وقتل 250 شخصا معظمهم من المدنيين، بينما قتل ثلاثة عشر شخصا في إسرائيل.

وقال العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني في تصريحات مسجلة مسبقا أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة "كم عدد المنازل التي ستضيع؟ كم عدد الأطفال الذين سيموتون قبل أن يستيقظ العالم؟".

وفي حين اتسمت العديد من اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في السنوات العشر الماضية بموجة من النشاط الدبلوماسي لإيجاد حل سياسي للأزمات في دول الشرق الأوسط، لا يُتوقع أن يظهر أي منها بشكل بارز إن وُجدت في اجتماعات هذا العام في نيويورك.

وقال بارنز – داسي "يشعر اللاعبون الغربيون بعدم وجود أفكار وطاقة من حيث تركيز اهتمام رفيع المستوى على وضع المنطقة على مسار أفضل، لاسيما بالنظر إلى التحديات العالمية الأوسع".

وأدى مزيج من إرهاق الحرب وإرهاق المانحين وقائمة طويلة من مشاكل العالم الأخرى إلى دفع سوريا واليمن وصراعات الشرق الأوسط الأخرى إلى مقعد خلفي، حيث يبدو أن قادة العالم قد تخلوا عن دول محطمة ومنقسمة في المستقبل المنظور.

وفي خطابه الأول أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم الثلاثاء، لم يذكر الرئيس جو بايدن الأزمات المتفاقمة في العالم العربي، وركز بدلا من ذلك على القضايا العالمية لوباء كوفيد – 19 وتغير المناخ والتوترات مع الصين وانسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان.

وقالت الصحافية اللبنانية كرم إن اهتمام أعضاء فريق بايدن منقسم بين الوباء والخروج من أفغانستان والتوجه نحو آسيا، "لكنهم يخاطرون بترك هذه الأزمات تتفاقم وإجبارهم على التدخل لاحقا عندما تخرج عن السيطرة أو تشكل تهديدا لمصالح الولايات المتحدة".

ومع ذلك يقول المحللون إنه لا يمكن لأوروبا ولا للغربيين أن يتجاهلوا الانهيار الاقتصادي الذي يحدث في الشرق الأوسط.

وقال هيكو ويمين مدير المشروع في العراق وسوريا ولبنان في مجموعة الأزمات الدولية "بالنسبة إلى أوروبا، فإن تحول جزء كبير من حدودها الشرقية والجنوبية إلى قوس أزمة ضخم هو أولا وقبل كل شيء فرصة ضائعة ذات حجم مذهل". وأكد أن زعزعة الاستقرار ستمتدّ إلى أوروبا وبدرجة أقل بسبب المسافة، من خلال تأجيج اليأس والهجرة وعدم الاستقرار، وفي نفس الوقت إعطاء الزخم والمصداقية للميول الأيديولوجية اليمينية المتطرفة. وقال إنه بينما قد ترغب الولايات المتحدة في إخراج نفسها من المنطقة، فإن الأوروبيين لا يمتلكون نفس الخيارات.

وتابع ويمين "لا يمكنك أن تكون آمنا إذا اشتعلت النيران في منزل جيرانك".